اطار التنظيم الاجتماعي للعصر الوسيط وقيمه الابوية العائلية ، وكان ذلك كله مما ينسجم وجو الرومنسية ونزوعاتها للعودة الى سلام العصور الوسطى، وهدوء البلدان النائية ، وحياة البدائي والفلاح ٠

والواقع ان بروز الطابع الاجتماعي الراديكالي لانتفاضات سنة ١٨٤٨ ، ودور الطبقة العاملة المتعاظم خلال هذه المرحلة ، وتشكيل تنظيماتها واحزابها المستقلة ، اثار خشية اقسام من الليبراليين ، كما اوقع الرعب في قلوب بعض قادة الطبقة الوسطى ، ودفع بهم الى صفوف المحافظين ٠ لقد اصبح الفكر الاشتراكي العلمي ، طرفا في الساحة الاوروبية ٠

في ظل هذه الصراعات الاجتماعية المحتدمة ، والازمات الخانقة التي تطحن الطبقة الوسطى الصغيرة بوجه الخصوص ، ومن بينها اعداد كبيرة من اليهود ، ليس من الغريب ان تتحول بعض فئاتها عن مثلها واهدافها الثورية ، وتسقط في مهاوي العدمية واليأس المطلق ، وقد تجد الملجأ والامان في احلام الرومنسية السلفية او احضان الكنيسة والتصوف ، او في عبادة الدولة والنزعة القومية المجردة عن اي مضمون اجتماعي متقدم ٠ وقد تنشد السلام المفقود في بلاد بعيده وفي الارض البكر التي لا يقطنها انسي ولا يفسدها توتر ولا صراع ٠ وستصادف هذا المفهوم الرومنسي والديني السلفي عن السلام الاجتماعي والتآخي والمحبة ، والتعاون كأساس للتنظيم الاجتماعي ، كأحد دعامات الفكر الصهيوني ومفهومها القومي ، وان قام على اساس عرقي ، وفي اخلاقيات الرواد او المستعمرين اليهود الاول لفلسطين ٠

لقد تخبط الرومانسيون بين التغني بجلال الشعوب ولغاتها واشعارها ، وجلال الملك ٠٠ بين النزعة الانسانية ، والتعصب المحلي ، بين كراهية البورجوازية واخلاقياتها المنحطة والرعب من الطبقة العاملة وحركتها ، ولكنهم وضعوا انفسهم آخر الامر بعد منتصف القرن في خدمة القوى المعادية للديموقراطية الليبرالية والرديكالية (٦) ٠

الرومانسية واللغة

كان الاهتمام الكبير الذي أولاه الرومانسيون اللغات القومية ، لصيقا بالدور البارز الذي لعبوه في الحركة القومية ٠ وكان من الطبيعي ان تحتل اللغة هذا المركز في حركة هي في الاساس حركة ادبية ، وثورة على المعايير الكلاسيكية في اللغة والادب ٠ وقد كان للرومانسية الفضل في الكشف عما للغات القومية والشعبية من قيمة فريدة ، فهي رمز شخصية هذه الشعوب وأصالتها ، تتجسد فيها روح الشعب وتراثه ، وأصبحت اللغة اساس الرابطة القومية بديلا عن العرق ٠